مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية
المجلد : 22 العدد : 68 مارس 2007

العوامل الواقية للشباب من الانحرافات الجنسيّة استنباطاً من قصّة يوسف عليه السلام

د. السرّ أحمد محمّد سليمان (*)

(*) أستاذ علم النفس التربوي المساعد بكلية المعلمين في حائل، المملكة العربية السعودية.

الملخص:

القرآن الكريم مصدر الهداية والوقاية في كل زمان ومكان، ولقد كثرت عوامل الانحراف في زماننا هذا، وليس لنا من عاصم من شرورها، إلا باستلهام كتاب ربنا، ففيه دواء دائنا، وشفاء أمراضنا.

وسورة يوسف فيها الكثير المفيد من عوامل وقاية الشباب من الانحراف، ولدى دراستها استنبطنا عاملين اثنين: أحدهما: إيماني، والثاني: اجتماعي، وقد لحظنا أثرهما على الشكل التالي

١ - **العامل الإيماني**: المتمثل في إدراك مراقبة الله سبحانه وتعالى، ذلك الإدراك يجعل الفرد يتجنب المحرمات التي قد تقابله، وذلك طمعاً في رضا الله سبحانه وتعالى، فيمثل هذا الطمع السعي لإشباع الدوافع الإيمانية، وذلك من خلال التحكم في الدوافع العضوية المتمثلة في الدافع الجنسي. فيؤدي ذلك إلى الوقاية من الانحرافات الجنسية.

٢ - **العامل الاجتماعي**: وهذا العامل يتمثل في تبني القيم الاجتماعية، التي تجعل الفرد يدرك حقوق الآخرين، ويسعى للمحافظة عليها، ولذلك يتجنب السلوك الجنسي المنحرف، لأنّ الجنس يتم بين شخصين في العادة، فلا يلجأ الشاب المدرك لحقوق الآخرين إلى انتهاك أعراضهم وحرماتهم، ليشبع ذلك الدافع الجنسي العضوي، على حساب القيم الاجتماعية التي يتبناها ويتخلق بها.

ولا شك أن هناك عوامل مساعدة تمهد لتأثير هذين العاملين وتنميتهما في نفس الإنسان، منها

- **الوعي بمخاطر الانحرافات الجنسية**: وذلك من خلال معرفة ما يترتب على السلوك المنحرف من نتائج تمنع من الإقدام على ذلك السلوك.
- **تجنب المثيرات**: وهو الاحتياط الأولي اللازم من استثارة الدوافع الجنسية، سواء بالبعد عن البيئة المثيرة وتجنبها، أو إبعاد المثيرات نفسها.

مقدمة:

تمثل مرحلة الشباب حلقة مهمة في حياة الأفراد، وتؤدي فئة الشباب دوراً كبيراً في المجتمعات والأمم، فالاقتصاديون يعتمدون على الشباب في التنمية وزيادة الإنتاجية. والمصلحون الاجتماعيون يسعون لاستقطاب الشباب؛ لأنهم إذا تبنوا أفكارهم فسوف يدافعون عنها، ويسعون لنشرها، ويستبسلون من أجلها.

ومما يؤكد أهمية مرحلة الشباب أيضاً: أنّ كثيراً من الشعراء قد تغنوا بخصوبة فترة شبابهم، وتمنوا عودتها عندما تقدم بهم العمر، ومن أمثلة ذلك: أنّ الشاعر الجاهلي سلامة بن جندل السعدي قد استرجع ذكرى شبابه، عندما تقدم عمره وبلغ المشيب، فأبدى حسرة شديدة على ذلك الشباب الذي ولى حثيثاً، فقال:

أَوْدَى الشبابُ حميداً ذو التعاجيب ... أودى وذلك شأوٌ غير مطلوب

ولَّى حثيثاً وهذا الشيبُ يطلبُهُ ... لو كان يدركه ركضُ اليعاقيب

أودى الشبابُ الذي مجدٌ عواقِبُهُ ... فيه نَلَذُّ، ولا لذَّاتِ للشِّيب

وللشباب إذا دامت بَشَاشَتُهُ ... وُدُّ القلوبِ من البِيض الرَّعَابيب

(الضبي، ١٩٩٨: ١٠٩)

ولمرحلة الشباب أهمية خاصة في الإسلام، ومما يدل على ذلك: أنّ الشاب الذي ينشأ في عبادة الله سيكون من السبعة الذين يظلهم الله تعالى، في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، و..» (البخاري، كتاب الأذان، ١٩٩٨: ١٤١).

ومما يدل على أهمية هذه المرحلة أيضاً: أنّ أهل الجنة في الحياة الآخرة يظلون شباباً خالدين، كما قال النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُدْخل الْجَنَّةَ يَنْعَمُ، ولا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ» (مسلم، كتاب الجنة، ١٩٩٨: ١١٤٠).

وفي مرحلة الشباب تظهر العديد من الحاجات، ومن أهمها: الحاجة للزواج

(النغينشي، ١٤١٥: ٨٣)، حيث أنّ الزواج يؤدي إلى إشباع دوافع متنوعة، وبالأخص الدوافع الجنسية التي تظهر بصورة ملحة بعد اكتمال النضج الجنسي في مرحلة الشباب، وذلك لأنّ الهرمونات الجنسية تبلغ ذروتها في هذه المرحلة (المفدى، ١٤٢١: ٣٧٠).

ولذلك أوصى النبي ﷺ الشباب بالزواج أولاً، وبالصوم ثانياً، إن لم يستطيعوا الزواج، وذلك لتلبية أحد متطلبات هذه المرحلة من جانب، ومن جانب آخر للوقاية من السعي لإشباع تلك الدوافع الجنسية الملحة بالطرق غير المشروعة، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (البخاري، ١٩٩٨: كتاب النكاح، ١٠٠٥).

ومع أهمية الزواج لدى الشباب إلا أنّ الدراسات المسحية تشير إلى ظاهرة ارتفاع نسب وأعداد غير المتزوجين في العالم العربي، ففي مصر قد أعلن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء عن ارتفاع نسبة العنوسة إلى (٣٧٪)، وفي الجزائر إلى (٣١٪) (عرفة وحسن، ٢٠٠٠). وإنّ أعداد العانسات في المجتمع السعودي ارتفعت إلى أكثر من مليون ونصف المليون فتاة عانس..وفي البحرين بلغت نسبة العنوسة (٢٠٪)..وفي الكويت بلغت نسبة العنوسة (١٨٪)..وفي قطر بلغت نسبة العنوسة (١٥٪) (سلطان، ٢٠٠٢).

وفي الوقت الذي تتناقص فيه فرص الزواج، أمام الشباب المسلم، نجد أنّ هناك انتشاراً للعديد من المثيرات والإغراءات الجنسية الموجهة نحوهم بصورة خاصة، وذلك من خلال بعض البرامج المنظمة التي يتم تقديمها عبر الوسائط المختلفة.

ومن أمثلة ذلك: وجود بعض المواقع الإباحية على الإنترنت، وظهور تلفزيون الواقع (وهو الذي يتم فيه استضافة الشباب من الجنسين ليعيشوا في مكان واحد، وتبث معظم تصرفاتهم بصورة حية للمشاهدين، مثل ما يبث عبر قنوات ستار أكاديمي)، أو من خلال السياحة الجنسية، وغير ذلك من المثيرات والمغريات المهيجة للدوافع الجنسية لدى الشباب.

مشكلة الدراسة:

إنّ تناقص فرص الزواج أمام الشباب، وكثرة المثيرات الجنسية الموجهة نحوهم، أدت إلى انتشار بعض الانحرافات الجنسية بينهم، فظهر ما يسمى بالزواج العرفي، "وهو أن يلتقي الرجل بالمرأة ويقول لها: زوجيني نفسك، فتقول: زوجتُك نفسي، ويكتبان ورقة بذلك، ويعاشرها معاشرة الأزواج بحجة أنهما متزوجان زواجاً عرفياً، فهذه الصورة ليست زواجاً، لا عرفياً ولا غيره، بل هي زنا" (الفقيه، ١٤٢٤).

وقد كشفت دراسة حديثة أجراها المجلس القومي للسكان، وجامعة القاهرة، والجامعة الأمريكية في مصر عن وجود (٤٠٠) ألف حالة زواج عرفي بين الشباب الذين هم في السن من (١٨-٣٠) سنة، وأضافت الدراسة أنّ نسبة الزواج العرفي بين طلاب الجامعات بلغت (٦٪). ومن جانب آخر تشير الدراسات إلى أنّ نسبة اللواط قد تتجاوز الـ ٢٢٪ في بعض المناطق العربية (عكاشة، ٢٠٠٣: ٦٣٠). وبالإضافة لذلك تشير التقارير الصحية إلى أنّ هناك ٩٠-٩٥٪ من الشباب وحوالي ٧٠٪ من الشابات يمارسون العادة السرية (Seha, 2005).

وفي الوقت الذي تتفاقم فيه الانحرافات الجنسية بين الشباب، وتتزايد فيه المغريات والمثيرات الجنسية الموجهة نحو الشباب، نجد أنّ هناك فراغاً كبيراً في مجال التربية والتوجيه والإرشاد للوقاية من الانحرافات الجنسية بين الشباب، حيث يشير أحد الباحثين إلى ذلك قائلاً: هناك تخلف كبير في ثقافتنا الخاصة والعامة حول المواضيع الجنسية، وهذا لا يقتصر على الثقافة الخاصة لعامة الناس فحسب، وإنما هناك إهمال تام لهذا الموضوع ضمن المؤسسات التعليمية والمناهج الدراسية في جميع المراحل في الوطن العربي (علي، ٢٠٠٥).

ولهذا لابد من البحث عن العوامل التي تقي الشباب من الانحرافات الجنسية، وبالرجوع للقرآن الكريم نجد قصة لأحد الشباب الذين تمت محاصرتهم بالإغراءات والمثيرات من كل الجهات، إلا أنّه قد استعصم، ووُقي من الانحرافات تماماً، هو: نبي الله يوسف - عليه السلام -، كما قال الحق

عنه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة يوسف: ٢٢-٢٣). فما العوامل التي وقت يوسف - عليه السلام - من الانحرافات، والتي يمكن استنباطها من قصته - عليه السلام - لوقاية الشباب من الانحرافات الجنسية؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

١ - معرفة العوامل التي وقت يوسف - عليه السلام - من الانحرافات الجنسية.

٢ - الاستفادة من تلك العوامل في تصميم البرامج التربوية والإرشادية لوقاية الشباب من الانحرافات الجنسية.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية البدء بالعوامل الوقائية نفسها، لأنّ الوقاية لها فاعلية كبيرة في الحد من السلوك المنحرف، حيث تؤكد الدراسات العلمية أنّ التربية الجنسية كلما كانت مبكرة، ساهمت في تأخير أول نشاط جنسي (انحرافي)، لأنّ الوعي المبكر بنتائج السلوك الجنسي على الفرد والمجتمع، يؤدي بالشباب إلى الحذر والاحتياط من العلاقات الجنسية (غير السوية) (العدوني، ٢٠٠٢).

ومن جانب آخر فإنّ للبرامج الوقائية أهمية اقتصادية كبيرة لمجتمعاتنا، وذلك لقلة تكلفتها المادية مقارنة بتكلفة علاج أمراض الانحرافات الجنسية، أو التصدي لجرائم الانحرافات الجنسية. فالإيدز - مثلاً - باعتباره وباءً مرتبطاً بالانحرافات الجنسية، قد كلف المنظمات الدولية والمجتمعات الغربية، عام (٢٠٠٣) مبلغاً مالياً قدره خمسة بلايين دولاراً أمريكياً، مع أنّ هناك (٥٠٪) من المصابين لم يطلهم أي ريع من تلك الأموال، ولذلك قدرت وكالة منظمة

الأمم المتحدة للتعامل مع الإيدز (UNAIDS) مبلغاً مالياً قدره (١٢) بليون دولار لمواجهة الإيدز في عام (٢٠٠٥)، ومبلغا ماليا قدره (٢٠) بليون دولار للتصدي للإيدز عام (٢٠٠٧) (UNAIDS, 2004). وفي نفس هذا الاتجاه فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد صرفت مبلغاً ماليا قدره بليونا دولار على السجناء المتهمين بالاعتداءات الجنسية على الأطفال! (McDonald, & Wilson, 2000). فلو كانت هناك وقاية مبكرة للشباب من الانحرافات الجنسية، لما كانت هناك ضرورة لذلك الإنفاق المادي الكبير الذي ترتب على تلك الانحرافات الجنسية.

وإضافة لذلك فإنّ لهذه الدراسة أهمية تطبيقية مباشرة حيث أنها تسعى لاستنباط العوامل التي تشكل أهم المصدات الواقية للشباب من الانحرافات الجنسية، وإنّ إبراز تلك العوامل ييسر عملية الاستفادة منها بصورة مباشرة في تصميم البرامج التربوية والإرشادية، والتي يمكن تنفيذها من خلال المؤسسات التعليمية والإعلامية والدعوية.

ومن جانب آخر: فإنّ هذه الدراسة تسعى لاستنباط العوامل الواقية من الانحرافات الجنسية، من أفضل مصدر للتوجيه والإرشاد وهو كتاب الله الحكيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ (سورة الإسراء: ٩). ذلك لأنّ بعض البرامج التي تستهدف وقاية الشباب من بعض الانحرافات الجنسية، لا تستند على ذلك الكتاب العزيز، ولا تتخذ الأنبياء نماذج يمكن الاقتداء بهم في مجال الإصلاح الاجتماعي، بل إنّ بعض تلك البرامج تستند على فلسفات وقيم تتناقض مع المبادئ الإسلامية صراحة! كما يقول مالك بدري: "على الرغم من الفشل الواضح للنموذج الوقائي الغربي فقد غدا عبر التوجيه والتأثير الإعلامي نموذجاً عالمياً يحتذى، فالمنظمات التعليمية والصحية والاجتماعية قد صادقت على هذه الاستراتيجية وأصبح يبشر بها خبراؤها في كل بلدان العالم باعتبارها النموذج المطلوب" (شنان، ٢٠٠٣).

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: أنّ الأكاديمية الدولية للتربية مع اللجنة

التربوية الدولية، بالتضامن مع اليونسكو قد أصدرت كتاباً عام (٢٠٠٢) يتضمن برنامجاً إرشادياً للوقاية من الإيدز في المدارس، وإنّ هذا البرنامج الوقائي التربوي التعليمي يدعو للتقليل من الممارسات الجنسية المتنوعة، ويدعو الطلاب لزيادة استخدام العوازل الواقية أثناء الممارسة الجنسية (Schenker & Nyirenda, 2002: 27)! فهل يطبق المسلمون هذا البرنامج الذي لا يتسق مع مبادئهم؟ أم يسعون لرفضه فقط؟ أم يصممون البرامج التي تُستمد وتستند على مصادرهم الشرعية؟ وللإجابة عن التساؤل الأخير تأتي هذه الدراسة لتستنبط العوامل الواقية للشباب من الانحرافات الجنسية، من قصة يوسف عليه السلام، لكي تتم الاستفادة منها في تصميم البرامج الوقائية التطبيقية لحماية الشباب من الانحرافات الجنسية.

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي عن طريقه يمكن معالجة مثل هذه الدراسات النظرية التي تتعامل مع النصوص المدونة، وذلك من خلال عملية التحليل النوعي الاستنباطي، وفي ضوء ذلك المنهج استخدم أسلوب تحليل المحتوى، وذلك بعد استيفاء ما يتطلبه هذا الأسلوب من إجراءات لتحليل النصوص.

والخطوات الإجرائية التي قام بها الباحث هي:

١ - الحصر الشامل للآيات القرآنية التي تضمنت الجانب المتعلق بمواجهة يوسف - عليه السلام - لذلك الإغراء الجنسي وكيفية تعامله معه. وهو ما ورد في الآيات من ٢٢- ٣٤ في سورة يوسف - عليه السلام -.

٢ - الرجوع لعدد من التفاسير المختلفة التي تناولت توضيح ما ورد في تلك الآيات، وذلك من أجل معرفة معاني ودلالات تلك الآيات.

٣ - استنباط العوامل والعلل والأسباب التي ارتبطت برفض يوسف - عليه السلام - واستعصامه عندما تعرض للمراودة، ودعم تلك الاستنباطات بما توافر من أدلة وشواهد تؤكد ما تم التوصل إليه من عوامل، وتحليلها ومناقشتها.

٤ – تقديم خلاصة بأهم النتائج.

٥ – تقديم توصيات تطبيقية لوقاية الشباب من الانحرافات الجنسية.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية لهذه الدراسة مقتصرة على استنباط العوامل التي وقت يوسف – عليه السلام – من الاستجابة للإغراءات التي واجهته، والاستفادة منها في وقاية الشباب من الانحرافات الجنسية، وقد مثّلت قصة يوسف – عليه السلام – الواردة في القرآن الكريم في سورة يوسف مصدراً رئيساً لهذه الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

فيما يلي توضيح لأهم المصطلحات الواردة في هذه الدراسة، وهي: العوامل الواقية، الشباب، الانحرافات الجنسية.

١ – العوامل الواقية:

الوقاية في اللغة العربية تعني الحفظ (الرازي، ١٩٩٦: ٦٤٧) والوقاية كعملية إرشادية تتم من خلال المنهج الوقائي، وهو: منهج التحصين النفسي ضد المشكلات والاضطرابات والأمراض النفسية، ويهتم بمنع حدوثها بإزالة أسبابها، وكشفها مبكراً للسيطرة عليها ومنع تطورها وتفاقمها (زهران ويسري، ٢٠٠٢: ٢٣٣). والمقصود بالعوامل الواقية في هذا البحث: تلك العناصر التي تؤدي إلى تحصين الشباب ومنعهم من الاستجابات الجنسية الانحرافية.

٢ – الشباب:

أوردت المعاجم العربية أنّ كلمة شاب تدل على الفتاء والحداثة (ابن منظور، دت: ج١، ٤٨٠). وأنّها تدل على النماء والزيادة المتمثلة في قوة الجسم وحرارته (ابن فارس، ٢٠٠١: ٥٠٠). وجاء في الحديث قول النبي ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (البخاري، كتاب النكاح، ١٩٩٨: ١٠٠٥). وبما أنّ الزواج لا

يصح إلا بعد البلوغ، فهذا يدل على أنّ كلمة الشباب تشير إلى طور يبدأ بعيد البلوغ.

ويطلق مصطلح الشباب في سيكولوجية النمو الحديثة على الأفراد بعد اكتمال نموهم الجنسي، وقبل ظهور علامات الرشد التي يجب أن نأنسها في الإنسان(صادق و أبو حطب، ١٩٩٩: ٣٢٥).

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض علماء الاجتماع المعاصرين، قد حصروا فترة الشباب في الشريحة العمرية من (١٥إلى٢٥) سنة، وتم تبني هذا التحديد كإطار مرجعي للسنة الدولية للشباب عام (١٩٨٥) (الزيدي، ٢٠٠٢).

ويدل مصطلح الشباب في هذه الدراسة على الأفراد الذين تجاوزوا البلوغ واكتمل نضجهم الجنسي، ولكنهم لم يدخلوا مرحلة الرشد، وهم من تتراوح أعمارهم بين ١٥ – ٣٥ سنة.

٣ – الانحرافات الجنسية:

الانحراف في اللغة العربية يدل على الميل عن الوسط والذهاب نحو الطرف، يقال: انحرف عنه و تحرف و احرورف، أي مال وعدل(الرازي، ١٩٩٦: ١١٦). ويحرف القلوب أي يميلها ويجعلها على حرف أي جانب وطرف (ابن منظور، دت: ج٩، ٤٤).

وبما أنّ الانحراف هو ميل عن شيء، فإنّ الانحرافات الجنسية هي الميل عن السواء في الإشباع الجنسي، والإشباع الجنسي السوي في ضوء الإسلام يتم من خلال الزواج أو ملك اليمين فقط، كما قال تعالى في وصفه للمؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ (المؤمنون: ٥–٦). والفرج يطلق على فرج الرجل والمرأة، ومعنى حفظهم لها أنهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم (الشوكاني، ٢٠٠٠: ١١٨٢).

ويقصد بالانحرافات الجنسية في هذه الدراسة: أيُّ ممارسة جنسية تتم خارج الزواج الشرعي.

الإطار النظري للدراسة:

تقع مرحلة الشباب ضمن الفترة العمرية التي يبلغ فيها الإنسان قوته من حيث النمو، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة الروم: ٥٤).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالا بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظاماً، ثم تكسى العظام لحماً، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوى، ثم يشب قليلاً قليلاً، حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً ثم مراهقاً ثم شاباً. وهو القوة بعد الضعف (ابن كثير، ٢٠٠٠: ١٠٥٩).

وقد بينت دراسات النمو الإنساني جوانب من تلك القوة التي تتميز بها مرحلة الشباب، فعند الوصول إلى العشرينات من العمر يكون قد اكتمل النمو من الناحية الجسمية، إذ لا يتوقع حدوث زيادة في الطول بعد سن العشرين (المفدى، ١٤٢١: ٣٩٠). ويدل قياس العظام أنّ الهيكل العظمي يتوقف عن النمو في سن (١٨) سنة. أما الأنسجة الأخرى، غير العظام فتستمر في النمو بعد وصول العظام إلى حجمها الكامل (صادق وأبو حطب، ١٩٩٩: ٣٣٣).

والعضلات تبلغ ذروتها من حيث القوة بين سن العشرين والثلاثين، وبالتحديد بين سن العشرين والخامسة والعشرين (المفدى، ١٤٢١: ٣٩٠). والحاستان البصرية والسمعية يبلغان أقصى قوتهما في سن العشرين تقريبا. وفي مرحلة الشباب يصل جهاز المناعة إلى أعلى قمة من حيث قدرته على حماية الجسم ضد الأمراض، ولذلك يمكن وصف مرحلة الشباب بصفة عامة بأنها مرحلة الصحة الجيدة والمقاومة العالية للأمراض. ومما يدعم هذه الحقيقة أنّ معظم الوفيات بين الشباب ترجع إلى الحوادث أكثر منها إلى المرض (Berk, 2001: 428).

وإنّ النضج الذي يطرأ على الجوانب الجسمية بالنسبة للغدد والعضلات والعظام يطال الجهاز العصبي، فيكتمل نضج المخ، وتظهر القدرة على التفكير

المجرد، وتتمايز القدرات العقلية المختلفة، وتبلغ الذاكرة بنوعيها: قصيرة المدى وطويلة المدى ذروتهما خلال مرحلة الشباب؛ لأنّ جميع الوصلات العصبية في المخ تكون قد اكتملت (المفدى، ١٤٢١: ٣٩٣).

وفي هذه المرحلة يكتمل النضج الجنسي لدى الذكور والإناث، ويزداد إفراز الهرمونات الجنسية لدى الجنسين، حتى تبلغ ذروتها بين سن الخامسة عشرة والعشرين. وزيادة هذه الهرمونات الجنسية، يؤدي إلى إظهار الدوافع والحاجات الجنسية، بصورة ملحة لدى الشباب (Berk, 2001: 360).

ونتيجة لازدياد إفراز الهرمونات الجنسية تزداد قوة الدافع الجنسي لدى الشباب، وتظهر حاجتهم للزواج؛ لإشباع هذا الدافع بصورة طبيعية، ولذلك يعتبر الزواج من أهم مطالب النمو في هذه المرحلة، ولكن نسبة لاكتمال النضج الجنسي لدى الشباب، ولصعوبة التمكن من الزواج، ونتيجة لانتشار المثيرات وعوامل الإغراء الجنسي، فإنّ احتمالات الانحراف تزداد بدرجة كبيرة، ولذلك فإنّ الوقاية من الانحرافات تصبح على درجة عالية من الأهمية.

ومما ينبغي التأكيد عليه: أنّ انتشار الانحرافات الجنسية بين الشباب ينتج عنه الكثير من الآثار السلبية، وتلك الآثار ربما تقود إلى تضييع هذه المرحلة الخصبة من العمر لدى الشباب أنفسهم، ولدى المجتمعات بصورة عامة، حيث أكدت بعض الدراسات وجود كثير من الاضطرابات لدى المنحرفين جنسياً.

ومن أمثلتها: القلق المرتفع، الاكتئاب، تعاطي المخدرات، المشكلات الصحية والغذائية، التوتر وسوء التوافق الاجتماعي، اليأس من الحياة والتفكير في الانتحار (Dombrowski,et alÁ 2004; Abbeg & McAuslan, 2004).

ومن جانب آخر فإنّ المنحرفين جنسياً لا يستطيعون مواصلة تعليمهم الدراسي، نسبة لضعف تحصيلهم الدراسي، وصعوبة توافقهم المدرسي والتعليمي، فيميلون للتسرب من المدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة (المهنا، ٢٠٠١).

وإنّ المنحرفين جنسياً يلفظهم المجتمع، وينظر إليهم نظرة سلبية، فينحدرون في سلسلة الترتيب الاجتماعي، وذلك لخرقهم لنظام المجتمع وقيمه

ومبادئه الرئيسية، وإنّ المثليين من كلا الجنسين (اللواط والسحاق) يكونون غالباً عرضة لقدر كبير من اضطهاد المجتمع لهم، وتعد حياتهم الجنسية نموذجاً لا أخلاقياً ومثيراً للاشمئزاز (ويلس وماركس، ١٤٢٠: ١٧٢).

وبما أنّ الانحرافات الجنسية تخلف الكثير من الآثار السالبة، فإنّ وقاية الشباب من تلك الانحرافات تبدو على درجة عالية من الأهمية، ولذلك تسعى هذه الدراسة لاستنباط العوامل الواقية للشباب من الانحرافات الجنسية، بالاستفادة من قصة يوسف – عليه السلام –، وذلك من أجل تقديم الأسس العلمية لتصميم البرامج التربوية والإرشادية؛ للمساهمة في وقاية الشباب المسلم من الانحرافات الجنسية.

الدراسات السابقة:

هناك ندرة في الدراسات العربية التي تناولت قضايا الشباب، وبخاصة فيما يتعلق بالموضوعات ذات الصلة بالجنس، ولعل ذلك يعود لحساسية المجتمعات العربية تجاه ما يتعلق بالحياة الجنسية، ونسبة لصعوبة الحصول على المعلومات في هذا الجانب، إلا أنّ هناك بعض الدراسات المهمة التي دعت لاستخدام الإرشاد الوقائي في ضوء الإسلام، ومنها:

ورقة العمل التي قدمها زهران (١٩٨٥)، خلال الحلقة العلمية السادسة للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، وناقش فيها دور الإرشاد النفسي المنبثق من الشريعة الإسلامية في معالجة مشكلات الشباب العربي المعاصر، وتبرز أهمية تلك الدراسة في أنها أوضحت حاجة الشباب العربي للإرشاد النفسي، وأكدت الورقة على ضرورة الاعتماد على الإرشاد النفسي الديني لوقاية الشباب العربي وعلاج مشكلاته، باعتبار أن الإرشاد النفسي الديني هو الأمثل والأنسب للمجتمع العربي الإسلامي، وبيّن الباحث أهم معالم الوقاية من الاضطرابات النفسية من وجهة نظر الدين الإسلامي، والتي تتضمن الإيمان، والسلوك الديني، والسلوك الأخلاقي. ومع أهمية هذه الورقة وأسبقيتها في هذا المجال إلا أنها قد جاءت واسعة في تعميماتها؛ مما جعلها لا تركز على الانحرافات الجنسية بصورة خاصة لدى الشباب العربي المسلم.

ومن ضمن الدراسات العربية المهمة في هذا المجال: دارسة فرج (١٩٩٨)، والتي قدمها لنيل الدكتوراه من جامعة عين شمس، وكان عنوانها: أثر الإرشاد النفسي الديني في خفض بعض الاضطرابات السلوكية لدى المراهقين. حيث قام الباحث باستخدام بعض الأدوات والمقاييس النفسية، وطبق برنامجا للإرشاد النفسي الديني الجماعي، احتوى على (٢٥) جلسة إرشادية على عينة مختارة للتجريب، قوامها (٥٦) طالباً وطالبة من الذين يعانون من الاضطرابات السلوكية من جامعة أسيوط بالوادي الجديد في مصر.

والجدير بالذكر: أنّ مقياس الاضطرابات السلوكية الذي استخدمه الباحث تضمن بعداً عن الاضطرابات الجنسية التي تمثلت في: مشاهدة الأفلام الجنسية المنافية للدين والقيم الخلقية، وممارسة النشاط الجنسي الزائد، وتقليد الجنس الآخر في الشكل أو المظهر، وعدم القدرة على ضبط الدافع الجنسي. كما أنّ البرنامج الإرشادي التجريبي قدم خدمات لأفراد العينة فيما يتعلق بالتربية الجنسية، وذلك بهدف إعلاء وتهذيب الدافع الجنسي، وتعلم أفراد المجموعة التجريبية أساليب ضبط الدافع الجنسي والتمسك بالقيم الدينية والخلقية في مواجهة الغواية والإغراء.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في بعدها التجريبي الذي أوضح فاعلية الإرشاد النفسي الديني في خفض الاضطرابات السلوكية بما فيها من انحرافات جنسية، ومن جانب آخر فإنّ أهمية تلك الدراسة ترجع أيضا إلى تأكيدها على أهمية الإرشاد النفسي المعتمد على الدين في خفض الاضطرابات السلوكية، ومع أهمية هذه الدراسة إلا أنّها لم تصمم برنامجها الإرشادي في ضوء قصة يوسف عليه السلام، الذي كان شاباً وأحاطت به المثيرات ولكنه استعصم عنها.

وهناك دراسة سابقة عن التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي، قدمها إلهي (٢٠٠١) لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير، وجاءت الدراسة في أربعة أبواب، وعدد من الفصول، وأهم الأبواب التي لها علاقة بموضوعنا الحالي هما البابان الثالث والرابع، ففي الباب الثالث بيّن الباحث الضمانات المتعلقة بالزوجة للحيلولة بينها وبين الفاحشة.. وبيّن فيه -أيضاً- التدابير التي تحول دون أن يكون الزواج سبباً للفاحشة.

أما في الباب الرابع فقد بيّن الباحث التدابير العامة التي تحد من انتشار الفاحشة، ومن تلك التدابير: ترسيخ الإيمان، والتكافل الاجتماعي، وتحريم المسكرات والغناء والمعازف، وإقامة الحدود.. والصوم. ورغم أهمية هذه الدراسة إلا أنها قد ركزت على التدابير الواقية من الزنا بالنسبة للمتزوجين، ولكن في بحثنا الحالي نسعى لمعرفة العوامل الواقية من الانحرافات الجنسية بالنسبة للشباب الذين لم يتزوجوا بعد!

وبصورة عامة نلاحظ أنّ هذه الدراسات رغم اهتمامها بالشباب من جانب، واهتمام بعضها بالانحرافات الجنسية من جانب آخر، إلا أنّها لم تول الوقاية الإرشادية أهمية كبيرة، وأنّها لم تتخذ قصة نبي الله يوسف – عليه السلام – نموذجا في الوقاية والعفة من الانحرافات الجنسية. ولذا تأتي الدراسة الحالية لتركز على هذين البعدين بصورة خاصة: أي الاهتمام بالوقاية من الانحرافات الجنسية لدى الشباب بصورة خاصة، واتخاذ قصة نبي الله يوسف ـج الواردة في القرآن الكريم نموذجا يحتذى به في هذا المجال.

العرض والتحليل والمناقشة

قال الحقة – سبحانه وتعالى – في سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ
ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا
عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ
أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ
أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا
ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ
قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ
مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ

إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ
وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي
ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ
كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ
وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي
لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ
لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ
إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ
لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ
بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾﴾ (سورة يوسف: ٢٢-٣٤).

لقد تضمنت هذه الآيات الكريمة طرفاً من قصة يوسف - عليه السلام -، وذلك أنه عندما بلغ سن الشباب قد تعرض لإغراءات متنوعة، إلا أنّه قد استعصم ورفض الاستجابة لتلك الإغراءات، وعبّر عن رفضه بأساليب مختلفة، كان آخرها تفضيله للسجن من أجل الابتعاد عن تلك البيئة المثيرة. وسوف نبرز بعض الجوانب التي تناولتها تلك الآيات فيما يتعلق بشباب يوسف - عليه السلام -، والإغراءات التي تعرض لها، وأساليب رفضه واستعصامه - عليه السلام -، ثمّ نورد ما تم استنباطه من العوامل التي وقته - عليه السلام - من الاستجابات المنحرفة.

شباب يوسف عليه السلام:

إنّ القرآن الكريم قد وصف يوسف - عليه السلام - ببلوغ الأشد، وبالفتوة، وذلك عندما تعرض للمراودة. قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ...﴾ (يوسف: ٢٢-٢٣)، وقال الله - سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف:٣٠).

وبلوغ الأشد يدل على الشباب، قال أبو عبيدة: تقول العرب بلغ فلان أشده إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته قبل أن يأخذ في النقصان (الرازي، ٢٠٠٠: ج١٨، ٨٩). وابن جرير الطبري وصف بلوغ الأشد بأنه: استحكام قوة شبابه وسنه (الطبري، ١٩٩٩: مج٥، ٣٩٣)، ووصف من بلغ أشده بأنه بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحده (الطبري، ١٩٩٩: مج٧، ١٧٤).

ويقول ابن كثير مفسراً لقوله تعالى في الآية: ﴿...ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...﴾ (الحج: ٥)، يصل إلى عنفوان الشباب وحسن المظهر (ابن كثير، ٢٠٠٠: ٨٨٤). وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿...حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ...﴾ (الأحقاف: ١٥) أي قوي وشب وارتجل (ابن كثير، ٢٠٠٠: ١٢٦٩). وابن عاشور يشير إلى أنّ الأشد: هو سن الفتوة واستجماع القوى(ابن عاشور، ١٩٩٧: مج٨، ج١٧، ٢٠١). والسعدي يشير إلى: نهاية قوته وشبابه، وكمال عقله (السعدي، ٢٠٠٠: ٧٨١)، فخلاصة آراء هؤلاء المفسرين حول المرحلة التي يبلغ فيها الإنسان أشده، تدل على أنها مرحلة الشباب.

واللفظ الآخر الذي يدل على شباب يوسف – عليه السلام – عند تعرضه لتلك الإغرءات هو لفظ الفتى، ولفظ (الفتى) في اللغة العربية يطلق على الشاب الحديث السن، وعلى من يكون في خدمة غيره من المملوكين؛ وقد ورد في معجم مقاييس اللغة بأنّ: الفاء والتاء والحرف المعتل أصلان: أحدهما يدل على طراوة وجدة، والآخر على تبيين حكم. والفتيّ: الطري من الإبل، والفتى من الناس: واحد الفتيان، والفتاء: الشباب (ابن فارس، ٢٠٠١: ٨٠٦). وقال الراغب الأصفهاني: " الفتى: الطري من الشباب، والأنثى فتاة والمصدر فتاء، ويكنى بهما عن العبد والأمة (الأصفهاني، ٩٩٨: ٣٧٥).

وقد بيّن كثير من المفسرين أن لفظ (الفتى) الذي أطلق على يوسف – عليه السلام –، والذي ورد في قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ

﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا...﴾ (يوسف: ٣٠)، يدل على الشاب الحديث السن. وهذا المعنى قد أورده كل من الرازي (٢٠٠٠: ج١٨، ١٠١)، والقرطبي (١٩٩٦: ج٥، ١٤٥)، والشوكاني (٢٠٠٠: ٨٤٤٤)، وابن عاشور (٩٩٧: مج٦، ج١٢، ٢٦٠). ولذلك فإنّ وصف القرآن ليوسف – عليه السلام – بأنه قد كان (فتى)، فيه دليل آخر على أنّ يوسف – عليه السلام – كان شابا عندما تعرض للإغراءات من امرأة العزيز والنسوة الأخريات.

الإغراءات التي تعرض لها يوسف – عليه السلام – أثناء شبابه:

تبين الآيات القرآنية أنّ يوسف – عليه السلام – قد تعرض لإغراءات كثيفة ومتنوعة، ويمكن تفصيلها وتصنيفها كما يلي:

١- **الإغراء بالمراودة:** وصف القرآن الكريم أن امرأة العزيز قد راودت يوسف – عليه السلام – عن نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ...﴾ (يوسف: ٢٣). وقد أثبت يوسف – عليه السلام – أنّ امرأة العزيز قد راودته عن نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ...﴾ (يوسف: ٢٦). وأكدت نسوة المدينة أنّ امرأة العزيز قد راودت يوسف – عليه السلام – عن نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ...﴾ (يوسف: ٣٠).

وقد شهدت امرأة العزيز أمام حشد من النسوة أنها راودت يوسف عن نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ...﴾ (يوسف: ٣٢). واعترفت امرأة العزيز اعترافا قضائياً مشهوداً وبعد مرور عدة سنوات أنها راودته عن نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ...﴾ (يوسف: ٥١).

وتفيد الآيات القرآنية أنّ المراودة التي تعرض لها يوسف – عليه السلام – لم تقتصر على مراودة تلك المرأة وحدها، بل قد شاركتها نسوة أخريات في

المراودة، حيث أثبت الملك عليهن ذلك، وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ...﴾ (يوسف:٥١).

وتدل كلمة المراودة على أنّ يوسف – عليه السلام – قد تعرض للإغراء الجنسي المباشر من امرأة العزيز ومن غيرها من النسوة، والدليل على ذلك هو المعنى اللغوي لكلمة المراودة، والسياق العام الذي استخدمت فيه تلك الكلمة في هذه القصة، فهناك اتفاق بين علماء اللغة والتفسير في توضيحهم لمعنى المراودة ودلالتها في هذا الموقف، ويذكر القرطبي (١٩٩٦: ج٩، ١٦٧): أنها قد طلبت منه أن يواقعها.

وتشير إيحاءات ودلالات لفظ المراودة على أنّ تلك المرأة قد كررت ذلك الإغراء كثيراً، وقد قال ابن عاشور: فالمراودة المقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، والمفاعلة مستعملة في التكرير. وقيل: المفاعلة تقديرية بأن اعتبر العمل من جانب والممانعة من الجانب الآخر من العمل بمنزلة مقابلة العمل بمثله. والمراودة مشتقة من راد يرود، إذا جاء وذهب. شُبه حالُ المُحاولِ أحداً على فعل شيء مُكرِراً ذلك بحالِ مَنْ يذهب ويجيء في المعاودة إلى الشيء المذهوب عنه، فأطلق راود بمعنى حاول (ابن عاشور، ١٩٩٧: ج١٢، ٢٥٠).

٢- **تهيئة الظروف المغرية:** إنّ امرأة العزيز كانت جادة في مراودتها وإغرائها ليوسف – عليه السلام –، حيث هيأت المكان المناسب الآمن، البعيد عن الأعين، حتى تغري يوسف – عليه السلام – لينال منها، وقد وصف القرآن جانبا من تلك التهيئة، بتصوير قيامها بتغليق الأبواب، قال تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ...﴾ (سورة يوسف: ٢٣). وما تجدر ملاحظته هنا أنّ القرآن قد أورد لفظة التغليق بصياغة تستدعي الوقوف عندها قليلا، فلم يقل (أغلقت)، ولم يقل (غلقت)، وإنما أوردها بصيغة التضعيف والتشديد (غَلَّقَتْ). ويذكر المفسرون أنّ تضعيف (غلّقت) لإفادة شدة الفعل وقوته، أي أغلقت إغلاقا محكما (ابن عاشور، ١٩٩٧: ج١٢، ٢٥٠). والتشديد للتكثير أو للمبالغة في الإيثاق (البيضاوي، ٢٠٠٠: مج٣، ١٦٧).

٣- **الإغراء اللفظي**: بيّن القرآن الكريم أنّ امرأة العزيز قد دعت يوسف – عليه السلام – لنفسها بصورة لفظية مباشرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف:٢٣)، وهذا القول يمثل إغراءً لفظياً صريحاً، لأنّ المعنى العام أي أقبل إلى ما أدعوك إليه(الزجاج، ٢٠٠٤: ج٣، ٨١).

٤- **الإغراء النفسي (هيجان الدافع الجنسي لدى امرأة العزيز)**: يصف الحق سبحانه وتعالى الحالة النفسية لتلك المرأة التي راودت يوسف – عليه السلام – بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ...﴾ (يوسف: ٢٤). والهمّ يدل على حالة نفسية معينة، يدل عليها المعنى اللغوي للكلمة، لأنّ العرب تطلق الهمّ وتريد به المحبة والشهوة، فيقول الإنسان فيما لا يحبه ولا يشتهيه: هذا ما يهمّني، ويقول فيما يحبه ويشتهيه: هذا أهمّ الأشياء إلي، بخلاف همّ امرأة العزيز، فإنه همُّ عزم وتصميم، بدليل أنها شقت قميصه من دبر وهو هارب عنها، ولم يمنعها من الوقوع فيما لا ينبغي إلا عجزها عنه (الشنقيطي، ٢٠٠٠: مج٣، ٤٥).

٥- **التحرش الجنسي والعنف**: تبيِّن الآيات القرآنية أن امرأة العزيز قد لجأت إلى العنف في محاولتها لإغراء يوسف – عليه السلام – لكي ينال منها، فطاردته، وحاولت سبقه؛ لكي تمنعه من الوصول إلى الباب وفتحه والهروب من بين يديها، وكانت أكثر عنفاً عندما لحقت بطرف قميصه من الخلف فمسكته وحاولت أن ترده إليها، حتى تمزق ذلك القميص الذي كان يلبسه يوسف – عليه السلام –، فكان ذلك القميص من الأدلة التي من خلالها تعرف القاضي على أخطاء تلك المرأة، وأثبت براءة يوسف – عليه السلام –.

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ

مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ (يوسف: ٢٥-٢٩).

وإذا نظرنا إلى هذه الإغراءات الجنسية التي واجهها يوسف - عليه السلام -، وأخذنا في الاعتبار أنّه قد كان شاباً غير متزوج، وأجرينا مقارنة بين ما تعرض له، وبين العوامل المرتبطة بالانحرافات الجنسية لدى الشباب، نجد أنّ يوسف - عليه السلام - قد واجه من الإغراءات ما هو كفيل بانحراف أي شاب آخر، فما هو موقف يوسف - عليه السلام - إزاء تلك الإغراءات؟

يبين لنا القرآن الكريم أنّ يوسف - عليه السلام - رفض الاستجابة لتلك الإغراءات ورد رداً قاطعاً: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣)، واستعصم في وجه ذلك الإغراء والمراودة التي تعرض لها، كما ورد في قوله تعالى على لسان تلك المرأة نفسها: ﴿...وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ...﴾ (يوسف: ٣٢). فما هي الأسباب (العوامل) التي جعلت ذلك الفتى الشاب (يوسف - عليه السلام -)، مستعصماً ورافضاً لذلك الطلب، عندما تعرض لتلك الإغراءات الجنسية ؟

إنّ الإجابة عن هذا التساؤل هي مقصد هذه الدراسة، وقد تبين للباحث أنّ هناك أربعة عوامل أدت إلى استعصام يوسف - عليه السلام - ووقايته من الاستجابة للإغراءات التي تعرض لها، وهي العامل الإيماني، والعامل الاجتماعي، وعامل الوعي التام بمخاطر الانحرافات الجنسية، وعامل تجنب البيئة المثيرة، وتتضمن المباحث التالية ما يدل على وجود تلك العوامل وتحليل تلك الأدلة ومناقشتها:

المبحث الأول
العامل الإيماني

إنّ إيمان يوسف – عليه السلام – بربِّه قد مثّل خط الدفاع الأول الذي تحطمت حوله كل المحاولات الإغرائية المثيرة التي استخدمتها امرأة العزيز معه، ومما يدل على ذلك: تعوذه بربه من اقتراف ذلك الفعل، ورؤيته لبرهان ربه في خضم ذلك الجو المثير الفاتن، ولجوئه لربه واستعانته به أن يصرف عنه كيد أولئك النسوة، وإخلاصه في عبادته لربه رغم تلك المحاولات الإغرائية الخطيرة، ويمكن توضيح هذه النقاط بالآتي:

١ – **الاستعاذة بالله:** منذ البداية ردّ يوسف – عليه السلام – على تلك المرأة بصورة لفظية صريحة مذكراً لها بربه، ومتعوذاً من ذلك الفعل الذي طلبته منه، كما ورد في قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ...﴾ (يوسف: ٢٣)، يقول جل ثناؤه: قال يوسف إذ دعته المرأة إلى نفسها وقالت له: (هلمّ إلي): أعتصم بالله من الذي تدعوني إليه، وأستجير به منه(الطبري، ١٩٩٩: مج٧، ١٧٩). فقوله (مَعَاذَ اللَّهِ)، إشارة إلى أنّ حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل (الرازي، ٢٠٠٠: ج١٨، ٩٢).

٢ – **رؤية البرهان:** من الأدلة على أهمية الإيمان في وقاية يوسف – عليه السلام – من الاستجابة لإغراءات تلك المرأة، رؤيته لبرهان ربه في خضم ذلك الموقف العصيب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ...﴾ (يوسف: ٢٤). ويقول الرازي (٢٠٠٠: ج١٨، ٩٥): إنّ ترك الهمّ بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن، بل لأجل أنّ دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل.

وقد بيّن ابن عاشور (١٩٩٧: ج١٢، ٢٥٤) أنّ: الرؤية – أي رؤية برهان ربه – هنا – علمية؛ لأنّ البرهان من المعاني التي لا ترى بالبصر. والبرهان: الحجة، وهذا البرهان من جملته صرفه عن الهمّ بها.. فكان برهان الله هو الحائل بينه وبين الهمّ بها دون شيء آخر.

ولذلك فقد صبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد همّ فيها هماً تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه ـ وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله ـ ما أوجب له البعد والانكفاف عن هذه المعصية الكبيرة (السعدي، ٢٠٠٠: ٣٩٦).

٣ – **اللجوء لله والاستعانة به**: وهو الدليل الثالث على أهمية العامل الإيماني في وقاية يوسف – عليه السلام – من الانحرافات، ويتمثل ذلك في دعائه لربه واستعانته به ولجوئه الكامل إليه؛ ليصرف عنه كيد النسوة؛ لكي لا يصبو إليهنّ، قال تعالى: ﴿... وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣). أي: إن وكلتني إلى نفسي فليس لي منها قدرة ولا أملك لها ضراً ولا نفعاً إلا بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان، فلا تكلني إلى نفسي (أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه) (ابن كثير، ٢٠٠٠: ٦٦٠). وإذا هو يستنجد ربه أن يصرف عنه محاولاتهن لإيقاعه في حبائلهن، خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم، فيقع فيما يخشاه على نفسه، ويدعو الله أن ينقذه من ه(قطب، ١٩٩٦: مج٤، ١٩٨٥).

٤ – **إخلاصه في عبادته لربه**: وصف الحق سبحانه وتعالى يوسف – عليه السلام –، بمقام العبودية والإخلاص، ولذلك فقد صرف الحق سبحانه عنه السوء والفحشاء، وذلك في أثناء تعرضه لتلك المواقف المثيرة، وهذا يدل على أهمية العامل الإيماني أيضاً، قال تعالى: ﴿...كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)، أي كما أريناه برهاناً صرفه عما كان فيه، كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) أي: من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار (ابن كثير، ٢٠٠٠: ٦٥٨).

وذلك أنّ من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مخلص لله التوحيد والعبادة، ومن أخلص توحيد الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئا، فهو ممن أخلصه الله (الطبري، ١٩٩٩: مج٧، ١٨٩).

إذن فإنّ العامل الإيماني كان هو أول الموانع التي جعلت يوسف – عليه السلام – لا يستجيب للمراودة التي تعرض لها، وذلك على الرغم من توافر

كثير من العوامل الأخرى التي تستدعي استجابة الكثيرين لتلك المراودة، وذلك لشدة تلك المراودة، ولجمال تلك المرأة، ولمكانتها الاجتماعية، ولتوافر قوة الشباب لدى يوسف – عليه السلام –.

ومما يدعم هذا الاستنتاج: وجود كثير من الأدلة التي تؤكد أهمية الإيمان ودوره في الوقاية من الانحرافات الجنسية، فقد وصف الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بحفظهم لفروجهم، وعدم تصريفها إلا في المواضع المحددة شرعياً، قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥)، وقال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (المعارج: ٢٩–٣٠).

ومن جانب آخر: تتضح العلاقة بين ضعف الإيمان وممارسة السلوك الجنسي المنحرف من خلال قصة قوم لوط، فقد بيّن القرآن انتفاء الإيمان عنهم، قال الله تعالى عن أولئك القوم بعد أن دُمرت قريتهم: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:١٧٤).

وقد بيّن النبي ﷺ أنّه لا يزني الزاني –حين يزني– وهو مؤمن، وذلك في قوله ﷺ: (لا يَزْنِي الزَّانِي –حِينَ يَزْنِي– وَهُوَ مُؤْمِنٌ..) (البخاري، كتاب الأشربة، ١٩٩٨: ١٠٩٩).

ومما يؤكد أهمية الإيمان في الوقاية من الانحرافات الجنسية: أنّ قوم لوط لم يمتنعوا من الانحراف مع وجود فرصة الزواج الشرعي من البنات الطاهرات، اللائي وعدهم بهنّ نبيهم لوط، وذلك لعدم إيمانهم، قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ (هود:٧٧–٨٠).

ومما يؤكد الدور الإيماني الوقائي الذي يمكن الاستشهاد به في هذا الجانب أيضاً: استعاذة مريم عليها السلام، ولجوئها إلى ربها عندما دخل عليها رسول ربها في صورة رجل في داخل مخبئها، قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾﴾ (مريم: ١٦–١٨). فلجوء المؤمن إلى ربه في مثل هذه المواقف الفاتنة يمثل عملاً وقائياً حاسماً من الانحرافات كما تبين من قصة هذين النبيين الكريمين.

وتؤكد كثير من الدراسات الوصفية والمسحية، النفسية والاجتماعية المعاصرة، أنّ الإيمان والوازع الديني يمثل عنصراً أساساً في الوقاية من الانحرافات الجنسية، وتفيد إحدى الدراسات الغربية الحديثة أنّ المراهقين والمراهقات الذين ينتمون للمؤسسات الدينية – الغربية – لم تنتشر بينهم الانحرافات الجنسية ولم يتعاطوا المخدرات بنفس النسبة مقارنة بغيرهم من غير المنتمين للمؤسسات الدينية (Wills, et al., 2003).

وقد أورد الصنيع (٢٠٠٠) العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية التي أجريت في كثير من بلاد العالم، والتي تؤكد بصورة عامة أثر الإيمان في العلاج والوقاية من كثير من الاضطرابات النفسية والانحرافات الجنسية.

وهذا كله يدل على أنّ الإيمان هو أهم العوامل التي تقي من الانحرافات، وقد ظهر أثر العمق الإيماني في شخصية يوسف – عليه السلام – من خلال استجاباته المختلفة في ذلك الموقف المثير، فدلت الاستجابات اللفظية القولية على الجانب الظاهر من سلوكه حيث قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ...﴾ ودلت الاستجابات الداخلية على بعدين آخرين من شخصيته هما: البعد العقلي المعرفي، والبعد الوجداني الروحي.

أمّا البعد العقلي المعرفي فقد تمثل في رؤيته لبرهان ربه: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ...﴾. وأمّا البعد الوجداني الروحي فقد

تمثل في لجوئه بالدعاء إلى ربه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٤﴾ (يوسف: ٣٣-٣٤).

والإيمان يتمثّل في التصديق القلبي المبني على معرفة يقينية مؤثرة فعلياً في سلوك الفرد قولاً وفعلاً، بل وفي كل الجوانب النفسية، حيث أنّ هذه المظاهر الثلاث - التصديق والقول والعمل - تدل على شمول الإيمان لكل جوانب الشخصية الإنسانية فيما يتعلق بالتصديق العقلي والاطمئنان النفسي الوجداني، وفيما يتعلق بالتعبير اللفظي أو الحركي، وفيما يتعلق ببقية الأبعاد السلوكية الظاهرية الأخرى.

وهناك ثلاثة عناصر إيمانية لها تأثير مباشر في الكف عن السلوك المنحرف: العنصر الأول: هو الاقتناع بوجود الله تعالى وعلمه بكل ما يقوم به الإنسان، والعنصر الثاني: هو اليقين بمحاسبة الله تعالى الناس على أعمالهم، وما يترتب على ذلك الحساب من ثواب أو عقاب، والعنصر الثالث: هو القدرة على الالتزام ببرنامج عملي يتجنب المؤمن من خلاله كل ما نهى الله عنه، ويمارس من خلاله كل ما أمر الله به، وذلك استناداً على علمه بوجود الله وخوفاً من عذابه وعقابه وطمعاً في ثوابه، ولذلك تتولد حالة من المراقبة الدائمة لدى المؤمن والتقييم الفوري لكل سلوك قبل أن يشرع فيه، فيتجنب كل ممنوع ويمارس كل مرغوب فيه، ولذلك سوف يتجنب الانحرافات الجنسية؛ لأنها من الممنوعات.

وقد بيّن بدري (١٩٩٦: ١٦١) أثر الإيمان في النفس المؤمنة، من خلال مفهوم الحوافز والتدعيم، سواء أكان إيجابياً أو سلبياً - أي ثواباً وعقاباً - لأنّه يصل إلى أعماق تمتد إلى ما وراء حدود هذا العالم..إلى الاستمتاع الروحي في الأنس بالله تبارك وتعالى، وإلى الخوف من عذابه وفقدان لذة مناجاته وعبادته. فلذة الأنس بالله تمحو كل استمتاع دنيوي، وفقدانها بعد الاستمتاع بهـ١٧،

– بالإضافة إلى الخوف من عذاب الله في الدنيا والآخرة – أمر تتضاءل بجانبه كل آلام الجسم البشري في هذه الدنيا، وكل عذاب الإنسان النفسي.

وبما أنّ يوسف – عليه السلام – قد استعاذ بالله من القيام بذلك الفعل، فهذا يدل على علمه وتيقنه بمراقبة الله تعالى، لأنّ المراقبة هي دوام علم العبد، وتيقنه بإطِّلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأنّ الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطّلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نَفَس وكل لحظة عين. وقد قيل: من راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه (ابن قيم الجوزية، ١٩٩١: ج١، ٤٩٥).

والمراقبة هي حال للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في القلب وفي الجوارح. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه. وأمّا المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأنّ الله مطّلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت (الغزالي، ٢٠٠١: ج٤، ٣٤٦).

ولذلك، فإنّ تعليم الشباب بالمراقبة الإلهية لهم في كل أعمالهم، ومحاسبتهم على كل أعمالهم ينمي فيهم الإيمان من خلال تنمية الجوانب العقلية التي تمكنهم من محاكمة ومحاسبة أنفسهم في ضوء ما يعرفونه من تلك المراقبة والمحاسبة. كما أنّ تلك المراقبة الدائمة تنمي الجوانب الوجدانية لدى الشباب فينمو لديهم الخوف من ربهم، فيجتنبون المعاصي جميعها؛ خوفاً من ربهم، وبالتالي يقون أنفسهم من الانحرافات الجنسية المختلفة.

ومن العناصر الإيمانية التي ارتبطت بوقاية يوسف – عليه السلام – من الانحرافات: استعانته بربه، ولجوؤه إليه واعتماده عليه، وذلك عندما أحاطت به الإغراءات بصورة يعجز عنها غيره من البشر العاديين أن يحفظوا أنفسهم فيها، ولكن إيمانه بربه جعله يلجأ إليه في مثل تلك المواقف.

والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإنّ العبد قد يثق

بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره – مع ثقته به – لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه – مع عدم ثقته به – لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه، مع أنّه غير واثق به (ابن قيم الجوزية، ١٩٩١: ج١، ٨٩). ولهذا كان يوسف – عليه السلام – واثقاً بالله ومعتمداً عليه، وكذلك كانت مريم، عندما دخل عليها الرجل في مكانها الخاص، فاستعانت واستعاذت بربها منه.

فالاستعانة بالله تمد المؤمن بالثقة التامة والاعتماد الكبير على ربه، فلا ييأس ولا يستسلم، مهما كانت المثيرات، ومهما عظمت العوامل التي حوله، ولذلك، فإنّ تعليم أبنائنا وبناتنا لهذا الأصل الإيماني العظيم سوف ييسر لهم الوقاية من الانحرافات الكثيرة.

ويمكن تفسير تأثير الإيمان في الوقاية من الانحرافات الجنسية من خلال تأثير الإيمان في ترتيبه لدوافع الإنسان وحاجاته، بحيث يكون إشباع دافع التدين أولى من إشباع دافع الجسد، وبالتالي سيؤثر ذلك على الإنسان عندما يكون في موقف يسهل فيه الانحراف. فطالما أنه تعود على إعلاء دوافع التدين في ذلك الموقف على الدوافع العضوية الأخرى، فإنه سيتمكن من الاستفادة من ذلك في عدم الاستسلام للدافع الجنسي في المواقف التي تتوفر فيها المثيرات أمام الشاب غير المتزوج. بل سيصبر على عدم إقدامه على ذلك الدافع بالطرق غير المشروعة.

وهذا يدل على أنّ الإيمان يؤدي إلى ضبط الدوافع والتحكم فيها وتصريفها في الاتجاه الصحيح، وعدم الإيمان يؤدي إلى إحداث اختلال في منظومة إشباع الدوافع والتحكم فيها. وقد ذكر نجاتي (١٩٩٧: ٦٧) أنه: إذا أخفق الإنسان في ضبط دوافعه والتحكم فيها، فأسرف في إشباعها، وانغمس في لذاتها، وجعل الحصول على لذة الإشباع هدفاً في ذاته، انحرفت الدوافع عن أهدافها الحقيقية، فلم تعد بعد وسيلة لاستمرار حياة الفرد وبقاء النوع، وإنما أصبحت غاية في ذاتها، ولم يعد الإنسان هو المسيطر عليها والمتحكم فيها، وإنما أصبحت هي المسيطرة عليه، والمتحكمة فيه. وانحراف الدوافع وسيطرتها

على الإنسان قد يحدث بالنسبة لكل من الدوافع الفسيولوجية والنفسية على السواء. ومن أهم دوافعنا الفسيولوجية المعرضة للانحراف: الدافع الجنسي.

وكما تبين لنا فقد وصف الحق – سبحانه وتعالى – يوسف – عليه السلام – بالعابد [المُخْلِصِ]، والعبادة: مفهوم شامل لكل سلوك يقوم به الإنسان متقرباً به إلى ربه، وفق ما شرعه الله، ومن العبادات الإسلامية: الصلاة والصيام وغير ذلك، ولهذه الشعائر التعبدية - التي هي من لوازم الإيمان ومكملاته - تأثير كبير في الوقاية من الانحرافات الجنسية.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (العنكبوت: ٤٥).

ومعنى (إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أي تمنعه عن معاصي الله وتبعده عنها، ومعنى نهييها عن ذلك: أنّ فعلها يكون سبباً للانتهاء (الشوكاني، ٢٠٠٠: ١٣٥٠).

والصلاة من الضوابط التي تعود النفس على أداء عمل معين في وقت معين؛ وتلك إحدى وسائل الضبط. كما أنها تعود النفس على التزام الجد فترة من الوقت. وتلك –أيضاً– إحدى وسائل الضبط. فوق ما ينبغي لها من خشوع وتطهر وتنظف ورعاية.وكلها ضوابط تعود النفس من الداخل على ضبط الشهوات (قطب، ١٩٨٢: ج١، ١٢٠).

ومن الشعائر التعبدية المهم تعليمها للشباب في هذا الموقف، والتي يمكن أن تزيد من إيمانهم وتعزز فهمهم لمراقبة ربهم لهم: عبادة الصوم؛ فقد خاطب النبي ﷺ الشباب مخيراً لهم بين الزواج أو الصيام، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (البخاري، ١٩٩٨: كتاب النكاح، ١٠٠٥).

فهذا الحديث فيه توجيه مباشر للشباب غير المستطيعين للزواج أن يصوموا، لأنّ الصوم يمثل لهم وجاء، وقد تبيّن أنّ الصيام يؤثر على الجانب العضوي للإنسان بتقليل الطاقة الغذائية التي يحتاجها الإنسان يومياً، وهذا سيضعف من الضغط الناتج من الهرمونات الجنسية، المحركة للدافع الجنسي. وقد أورد المفدى (١٤٢١: ٣٨٦) أنّ بعض الدراسات الغربية الحديثة دلت على وجود علاقة بين عدد السعرات الحرارية التي يتناولها الشخص في اليوم، ومدى شدة تأثير الدافع الجنسي فيه، فعندما يقل عدد السعرات الحرارية التي يتناولها الشخص عن (١٥٠٠) وحدة – المقدار اليومي المعتاد يتراوح بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ – فإن تأثير الدافع الجنسي على الفرد يقل بشكل ملحوظ.

المبحث الثاني
العامل الاجتماعي

إنّ وفاء يوسف – عليه السلام – ومراعاته لحقوق الرجل الذي أحسن إليه، والقيم الاجتماعية التي كان يتمثلها يوسف – عليه السلام –، قد شكلت خط دفاع ثانياً أمام الإغراء الذي تعرض له من امرأة العزيز، فردّ عليها رافضاً ما دعته إليه، ومذكراً لها بأنها هي زوجة الرجل الذي أحسن مثواه، وتولى رعايته منذ أن جاء به السيارة إليه، وذلك ما ورد في قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ (يوسف: ٢٣)، فقوله: (إنّه ربي أحسن مثواي)، يدل على أنّ ما يمنعه من تلبية طلبها هو احترامه لزوجها الذي أحسن إليه في إقامته معه.

وكانوا يطلقون الرب على السيد والكبير، أي: إنّ بعلك ربي أحسن مثواي – منزلي – وأحسن إلي فلا أقابله بالفاحشة في أهله (ابن كثير، ٢٠٠٠: ٦٥٨)، وبما أنّ حقوق الخلق واجبة الرعاية، فلما كان هذا الرجل ـ أي العزيز ـ قد أنعم في حقي يقبح مقابلة إنعامه وإحسانه بالإساءة (الرازي، ٢٠٠٠: ج١٨، ٩٢).

ويقول الشوكاني (٢٠٠٠: ٨٤١): وجملة (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) تعليل للامتناع الكائن منه ببعض الأسباب التي هي أقرب إلى فهم امرأة العزيز، والضمير للشأن: أي إنّ الشأن ربي، يعني: العزيز: أي سيدي الذي رباني وأحسن مثواي حيث أمرك بقوله: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ..﴾ (يوسف: ٢١)، فكيف أخونه في أهله وأجيبك إلى ما تريدين من ذلك!

إذن فإنّ القيم الاجتماعية التي كان يتبناها يوسف – عليه السلام –، قد مثلت عاملاً آخر منعه من الاستجابة الانحرافية لامرأة العزيز عندما قامت بمراودته، وتلك القيم تمثلت في الحفاظ على حقوق الآخرين، والكف عن خيانة وانتهاك حرماتهم في غيابهم، وحفظ الجميل الذي قدم له من قبل.

ومما يؤكد هذا الاستنتاج: أنّ النبي ﷺ قد وظف القيم الاجتماعية في

وقاية أحد الشباب من الزنا، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: (ادْنُهْ)، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ فَجَلَسَ. قَالَ: (أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟). قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟). قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ). قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟). قَالَ: لا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ). قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟). قَالَ: لا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ). قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟). قَالَ: لا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ). قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ). فَلَمْ يَكُنْ - بَعْدُ ذَلِكَ - الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ" (رواه ابن حنبل، د، ت، ج٥، ٢٥٦، وصححه الألباني، ٢٠٠٤: ٥١٤).

وقد توصل الباحثون إلى أنّ القيم الدينية والاجتماعية تعمل على وقاية الأفراد من الانحراف، فالقيم الدينية والاجتماعية التي يتبناها الفرد تحميه من الانزلاق في الخطأ، فهي تعمل كعامل وقائي. كما أنّها تعمل كعامل إنمائي لشخصية الفرد، حيث تمكنه من التكيف مع ضغوط الحياة ومصاعبها، وبالتالي تقيه من الإصابة بالأمراض السيكوسوماتية، وتمكنه من مواجهة الأزمات والتخفيف من وطأتها (عقل، ٢٠٠١: ٧١).

ونسبة لأهمية البعد الاجتماعي وتأثيره على الإنسان، فقد جُعل الشهود الجماعي للمؤمنين جزءاً من عقوبة الزنا في الشريعة الإسلامية، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ (سورة النور: ٢).

وهذا يبيِّن أنّ البناء الاجتماعي، الذي يزود الفرد بسياج من القيم والمبادئ، يمثل سوراً قوياً أمام هيجان الدافع الجنسي لدى الأفراد، ولعل هذا ما يفسر انتشار الانحرافات الجنسية لدى الأفراد الذين ينشأون في ظل الأسر المفككة، الذين لا يتمثلون قيماً معينة، نتيجة لفقدانهم لنموذج القدوة الذي يمدهم بتلك القيم، ونتيجة لعدم احترامهم لحقوق الآخرين.

المبحث الثالث
عامل الوعي بمخاطر الانحرافات

لقد مثّل إدراك يوسف – عليه السلام – للمآلات والنتائج اللاحقة المترتبة على الانحراف الجنسي، أحد العوامل التي برر بها رفضه واستعصامه من الاستجابة لتلك الإغراءات التي تعرض لها، ويتضح وعيه وإدراكه للنتائج السالبة المترتبة على الزنا من خلال وصفه لمن يفعلون ذلك بأنّهم ظالمون وغير مفلحين، كما ورد في قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (سورة يوسف: ٢٣).

وجملة (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها، والفلاح: الظفر. والمعنى: أنه لا يظفر الظالمون بمطالبهم، ومن جملة الظالمين: الواقعون في مثل هذه المعصية التي تطلبها امرأة العزيز من يوسف (الشوكاني، ٢٠٠٠: ٨٤١).

وبما أنّ صون النفس عن الضرر واجب، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة، واللذة القليلة إذا لزمها ضرر شديد، فالعقل يقتضي تركها والاحتراز عنها، فقوله: (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) إشارة إليه (الرازي، ٢٠٠٠: ج١٨، ٩٢).

وهذه النتيجة تؤكد أنّه كلما ازداد الوعي بمخاطر الزنا ونتائجه، تمكن الفرد من السيطرة على الدافع الجنسي، وضبطه، وبالتالي سيمتنع عن الوقوع في الزنا، ويتجنب الانحرافات المختلفة.

وقد توصل بعض الباحثين إلى أنّ مستوى الوعي بالنتائج السالبة والعواقب الخطيرة للانحرافات، له دور كبير في الوقاية من تلك الانحرافات، ولذلك أنشئت نظريات نفسية واجتماعية وصحية تدور حول هذه الفكرة، وأكدت

هذه النظريات أنّه كلما كان الأفراد أكثر وعياً بالمخاطر الناجمة عن السلوك المنحرف، قللوا من ممارستهم لذلك السلوك (Kershaw, et al. 2003).

وقد أوردت (Berk, 2001: 361) أنّ نسبة الانحرافات والعلاقات الجنسية غير الشرعية قد تراجعت كثيراً في الولايات المتحدة الأمريكية بعد ظهور الإيدز، فبينما ارتفعت نسبة الممارسات الجنسية المنحرفة بين الشباب غير المتزوجين ممن تتراوح أعمارهم بين (١٥-١٩) سنة من (٢٨٪) في عام (١٩٧١)، إلى (٥٥ ٪) عام (١٩٩٠)، فإننا نجد أنّ تلك النسبة انخفضت إلى (٤٩٪) عام (١٩٩٨) بعد أن كانت في زيادة مطردة، ويرجع الباحثون ذلك الانخفاض – في تلك النسبة – إلى الوعي بالإيدز وما يرتبط به من مخاطر.

ولذلك، فإنّ إبراز الجوانب السلبية المرتبطة بالانحرافات الجنسية يعدُّ أمراً ضرورياً للشباب، لكي يتكون لديهم الوعي الكامل بنتائج السلوك الانحرافي، فيؤدي إلى إطفاء الاستجابة المنحرفة، وفي الإسلام هناك كثير من الحقائق التي يمكن الاستفادة منها في هذا الجانب، فقد حكى القرآن عن قوم لوط، وبين سلوكهم المنحرف والنتائج التي أدى إليها ذلك السلوك.

وتتضح النتائج السالبة للانحرافات وتتشكل في وعي الفرد من خلال المعارف والعلوم المختلفة، فالعلوم الشرعية والقانونية التي تتبين من خلالها العقوبات والأحكام المترتبة على تلك الانحرافات تدخل الخوف لدى بعض النفوس، فتحصنها من الوقوع في تلك الانحرافات في المستقبل.

ولذلك كان في القصاص حياة لأولي الألباب، قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٩)، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل؛ لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل، لأنّه إذا همّ بالقتل فعلم أنّه سيُقتَص فارتدع عنه، سلم صاحبه من القتل، وسلم هو من القود ـ أي القتل قصاصا ـ فكان القصاص سبب حياة نفسين (الزمخشري، ٢٠٠٢: ١١١).

ولذلك فإن تطبيق الحد على الزناة مشروط بحضور طائفة من المؤمنين،

فذلك الحضور: رادع اجتماعي للمعاقبين، وتحذير لمن لم يقع في مثل تلك الجريمة، بأن يكفّ عنها في المستقبل، نسبة لما يراه من ذلك العذاب، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النور:٢).

وخلاصة الأمر: أنّه كلما كان الإنسان أكثر وعيا، وإدراكا بالنتائج التي تخلفها الانحرافات الجنسية، وكلما كان خائفا على نفسه وحريصا عليها، ابتعد عن تلك السلوكيات المنحرفة.

المبحث الرابع
عامل تجنب المثيرات

عندما أدرك يوسف – عليه السلام – أنّ عدم استجابته لتلك المرأة، لم يمنعها من إغرائه والتعرض له، حيث قامت بجمع النسوة حولها، لكي تبرر لهنّ أنّ ما تسعى إليه مع هذا الفتى قد تتمناه كل واحدة منهن، ولكي تعلن – وفي صراحة سافرة – أنّه إن لم يستجب لها، فسوف تقوم بإيداعه في السجن؛ عقاباً له، عندئذ سأل يوسف – عليه السلام – ربه أن يبعده عن هذه البيئة الموبوءة، حتى ولو كان ذلك إيداعاً له في السجن.

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ (يوسف: ٣٠-٣٤).

وهذا الخبر من الله يدل على أنّ امرأة العزيز، قد عاودت يوسف في المراودة عن نفسه، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه، فاختار السجن على ما دعته إليه من ذلك، لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك كان محالا أن يقول: (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي)، وهو لا يدعى إلى شيء، ولا يخوّف بحبس (الطبري ١٩٩٩: مج٧، ٢٠٨).

إذن، فقد اختار يوسف – عليه السلام – السجن على ما فيه من المآسي والآلام، فاختاره اختيار حب وتفضيل على هذه الإغراءات الماكرة التي بدت

تحيط به، وقد فسّر البيضاوي(٢٠٠٠: مج٢، ١٧٢) قوله: (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي) أي آثر عندي من مؤاتاتها زناً؛ نظراً إلى العاقبة وإن كان هذا مما تشتهيه النفس، وذلك مما تكرهه.

إذن، فاختيار يوسف – عليه السلام – للسجن وتفضيله له يدل على أنّه أصبح في حاجة شديدة إلى أن يبتعد عن تلك المثيرات التي أحاطت به، ولذلك لجأ إلى ربه فقال: (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)، واختياره عليه السلام للسجن يدل على كراهيته للمعصية وحبه لمفارقتها، ولهذا أحب ما يصرفه عنها، لا حباً في السجن لذاته.

وقد فرق القرطبي (١٩٩٦: ج٩، ١٩١) بين حب السجن على الاطلاق وبين حب يوسف – عليه السلام – للسجن في هذا الموقف بخاصة، ففسر قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ أي: أسهل علي وأهون من الوقوع في المعصية، لا أنّ دخول السجن مما يحب على التحقيق. وأضاف ابن عاشور (١٩٩٧: ج١٢، ٢٦٥) بأنّ الإخبار بأنّ السجن أحبّ إليه من الاستمتاع بالمرأة مستعمل في إنشاء الرضا بالسجن في مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه.

إذن، فقد طلب يوسف – عليه السلام – الابتعاد عن تلك البيئة المغرية، وآثر تجنب تلك المغريات المثيرة التي واجهته، وعُرضت عليه –طوعاً وقسراً– وهو في عنفوان شبابه وقوته، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيد أولئك النسوة، وأبعد عنه المغريات، وأبعده عنها، كما ورد في قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٣٤).

ومما يؤكد أهمية تجنب المثيرات في الوقاية من الانحرافات الجنسية أنّ المهتمين بأمور الوقاية قد صمموا بعض البرامج لحجب المواقع الجنسية على الإنترنت، في بعض الدول، وقد أظهرت نتائج استطلاع للرأي العام أجري في سنة (٢٠٠٢)، أن (٤٦٪) من الفرنسيين أكدوا تأييدهم لمنع المواد المنكرة

المبثوثة على الانترنت. وفي أستراليا يشجع (٣٩٪) من أولياء الأمور والمراهقين الحجب الآلي للإنترنت، لمنع تسلل الصور والمناظر الإباحية إلى المنازل. وسنّت أستراليا قوانين لتقييد خدمة الإنترنت، بهدف منع انتشار الإباحية، وحدد القانون الأسترالي لسنة (٢٠٠٠) فئات المواد التي ينبغي حجبها (الطياوي، ٢٠٠٤).

وكما تبين لنا فإنّ يوسف – عليه السلام – قد فضل الذهاب للسجن بدلا عن البقاء في تلك البيئة المثيرة، ودعا يوسف – عليه السلام – ربه ليصرف عنه كيد أولئك النسوة؛ حتى لا يصبو إليهن، وصرف ربه عنه كيدهن فلبث في السجن بضع سنين. وهذا يدل على أنّ تجنب المثيرات، والابتعاد عن البيئة التي تُعرض فيها، يمثل عاملاً واقياً للشباب من الاستجابة للانحرافات الجنسية، ولعل ذلك يرجع إلى أنّ الدافع الجنسي غالباً ما تتم استثارته خارجياً، فإذا لم يتعرض الفرد لمثيرات خارجية فإنّ ذلك الدافع سيظل في سكون طبيعي. ويقول علماء النفس: إنّ البيئة الخارجية لها دور كبير في استثارة الدوافع الداخلية للإنسان، فكثيراً ما طلب الإنسان طعاماً نسبة لرؤيته له، أو لشمه لرائحته فقط.

ومن الممكن أن يرتبط الدافع الجنسي بكثير من المنبهات الخارجية من مواقف معينة أو أشخاص معينين، بحيث تكتسب هذه المواقف أو هؤلاء الأشخاص القدرة على إثارة الدافع الجنسي، ومن ذلك نرى أنّ النشاط الجنسي عند الإنسان لا يعتمد على الهرمونات الجنسية فقط، وإنما يعتمد -أيضاً- على عادات الإنسان واتجاهاته وخبراته السابقة (خليفة، وسيد أحمد، ١٩٩٧: ٥٥). ولذلك فإنّ تجنب المثيرات الجنسية المرتبطة ببعض المواقف أو الأفراد أو البيئات سوف يلعب دوراً كبيراً في الوقاية من الانحرافات الجنسية.

ولعله من الضروري أن نشير إلى أنّ هناك باباً كبيراً في الشريعة الإسلامية يتعلق بسد الذرائع، وذلك من خلال الاحتياطات الأولية، المانعة لتوفر الظروف الملائمة والمهيئة لاستثارة الدوافع وتهييج الغرائز لدى الناس، وبخاصة فيما يتعلق بالجانب الجنسي. وذلك أنّ النهي عن الزنا جاء من خلال المنع من القرب منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً

وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ٣٢). وجاء الأمر بغض البصر بين النساء والرجال، وجاء الأمر بتوجيه النساء للحجاب، وجاء الأمر بضبط ما يتعلق بإبداء الزينة، وغير ذلك من التوجيهات السلوكية التي تبعد الشباب وغيرهم من القرب من الزنا.

خلاصة بأهم النتائج

هدفت هذه الدراسة إلى استنباط العوامل الواقية للشباب من الانحرافات الجنسية، من قصة يوسف – عليه السلام –، وقد أسفرت النتائج عن العوامل التالية:

١ – **العامل الإيماني**: المتمثل في إدراك مراقبة الله سبحانه وتعالى، وذلك الإدراك يجعل الفرد يتجنب المحرمات التي قد تقابله، وذلك طمعا في رضا الله سبحانه وتعالى، فيمثل هذا الطمع السعي لإشباع الدوافع الإيمانية، وذلك من خلال التحكم في الدوافع العضوية المتمثلة في الدافع الجنسي. فيؤدي ذلك إلى الوقاية من الانحرافات الجنسية.

٢ – **العامل الاجتماعي**: وهذا العامل يتمثل في تبني القيم الاجتماعية، التي تجعل الفرد يدرك حقوق الآخرين، ويسعى للمحافظة عليها، ولذلك يتجنب السلوك الجنسي المنحرف، لأنّ الجنس يتم بين شخصين في العادة، فلا يلجأ الشاب المدرك لحقوق الآخرين إلى انتهاك أعراضهم وحرماتهم، ليشبع ذلك الدافع الجنسي العضوي، على حساب القيم الاجتماعية التي يتبناها ويتخلق بها.

٣ – **الوعي بمخاطر الانحرافات الجنسية**:.وذلك من خلال معرفة ما يترتب على السلوك المنحرف من نتائج تمنع من الإقدام على ذلك السلوك.

٤ – **تجنب المثيرات**: وهو الاحتياط الأولي اللازم من استثارة الدوافع الجنسية، سواء بالبعد عن البيئة المثيرة وتجنبها، أو إبعاد المثيرات نفسها.

توصيات الدراسة

في ضوء نتائج هذه الدراسة يمكن تقديم بعض الموجهات الإجرائية لإعداد برنامج تربوي إرشادي يؤدي إلى وقاية الشباب من الانحرافات الجنسية، وذلك كما يلي:

١ - **الهدف العام للبرنامج:** وقاية الشباب من الانحرافات الجنسية.

٢ - **المحتوى المعرفي للبرنامج:** يتضمن البرنامج مفردات تعليمية مختلفة تستهدف: تنمية الإيمان لدى الشباب من خلال تنمية الشعور بالمراقبة الإلهية، والحث على ممارسة الشعائر التعبدية. وتستهدف تلك المفردات تنمية الأخلاق والقيم الاجتماعية. وتستهدف تبيين الآثار السالبة للانحرافات الجنسية. وتستهدف – أخيراً – توضيح الأساليب التي تساعد الشباب في تجنب المثيرات الجنسية، والبيئات المثيرة جنسياً. وتلك المفردات يمكن صياغتها في مناهج تعليمية، وأنشطة ترفيهية تربوية، وبرامج إعلامية متنوعة.

٣ - **المستهدفون بالبرنامج:** يستهدف ذلك البرنامج الأبناء الذين قاربوا السنة العاشرة من عمرهم، أي يمكن البدء في تقديمه لمن وصلوا أواخر مرحلة الطفولة، ويستمر البرنامج معهم طوال فترة البلوغ والمراهقة.

٤ - **الوسائط المسؤولة عن تنفيذ البرنامج هي:** الأسرة، والمسجد، والمدرسة، والإنترنت، ووسائل الإعلام، والجمعيات الشبابية.

٥ - **الأساليب التربوية والتعليمية:** يمكن استخدام كل من التنشئة الاجتماعية، والأساليب اللفظية العفيفة، واستخدام القصة، واستخدام الزيارات والرحلات والأنشطة المختلفة، واستخدام الحوار والمناقشة، واستخدام العروض البصرية المرئية.

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم.

٢ – ابن حنبل، أحمد (د ت). **مسند أحمد بن حنبل**، القاهرة: مؤسسة قرطبة.

٣ – ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٩٧). **تفسير التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون.

٤ – ابن فارس، أحمد (٢٠٠١). **معجم مقاييس اللغة**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٥ – ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٩٩١). **مدارج السالكين**، تهذيب: عبد المنعم العزيط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٦ – ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٢٠٠٠). **المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير**، تهذيب: جماعة من العلماء، ط٢، الرياض: دار السلام.

٧ – ابن منظور، محمد بن مكرم (د ت). **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

٨ – الأصفهاني، الراغب (١٩٩٨). **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد خليل عيتاني، بيروت : دار المعرفة.

٩ – الألباني، محمد ناصرالدين (٢٠٠٤).**سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض: مكتبة المعارف.

١٠ – **إلهي، فضل (٢٠٠١). التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي**، رسالة ماجستير منشورة، ط٦، الرياض: مؤسسة الجريسي.

١١ – البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٩٨)؛ **صحيح البخاري**، الرياض: بيت الأفكار الدولية.

١٢ – بدري، مالك (١٩٩٦). **حكمة الإسلام في تحريم الخمر**، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١٣ - البيضاوي، عبدالله بن عمر (٢٠٠٠). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت: دار الرشيد.

١٤ - خليفة، عبد اللطيف، وسيد أحمد، معتز(١٩٩٧). **الدوافع والانفعالات**، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

١٥ - الرازي، فخر الدين (٢٠٠٠) **التفسير الكبير**، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٦ - الرازي، محمد بن أبي بكر (١٩٩٦). **مختار الصحاح**، بيروت: مكتبة لبنان.

١٧ - الزجاج، أبو إسحاق (٢٠٠٤).**معاني القرآن وإعرابه**، القاهرة: دار الحديث.

١٨ - الزمخشري، جارالله (٢٠٠٢). **تفسير الكشاف**، بيروت: دار المعرفة.

١٩ - زهران، حامد ويسري، إجلال(٢٠٠٢). **دراسات في علم نفس النمو**، القاهرة: عالم الكتب.

٢٠ - زهران، حامد (١٩٨٥). دور الإرشاد النفسي المنبثق من الشريعة الإسلامية في معالجة مشكلات الشباب العربي المعاصر، في: زهران، حامد، وإجلال يسري (٢٠٠٢). **دراسات في علم نفس النمو**، القاهرة: عالم الكتب، ص ص ٢٣١-٢٥٥.

٢١ - الزيدي، المنجي (٢٠٠٢). **مقدمات لسوسيولوجيا الشباب**، عالم الفكر، ٣٠ (٣)، ٢٧-٥٤.

٢٢ - السعدي، عبد الرحمن (٢٠٠٠). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٣ - سلطان، إيهاب (٢٠٠٢). العنوسة والطلاق:
http://www.arabiat.com/magazine/publish/article_285.shtml

٢٤ - شنان، محمد الحسن، (٢٠٠٣). أزمة الإيدز: منظور اجتماعي- ثقافي إسلامي، مجلة تفكر، معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة- السودان، ٥، (٢)، ١٧١-١٩٠.

٢٥ - الشنقيطي، محمد الأمين (٢٠٠٠). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٦ - الشوكاني، محمد علي (٢٠٠٠). **فتح القدير**، بيروت: دار ابن حزم.

٢٧ - صادق، آمال، وفؤاد أبو حطب (١٩٩٩). **نمو الإنسان**، ط٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو.

٢٨ - الصنيع، صالح بن إبراهيم (٢٠٠٠). **التدين والصحة النفسية**، الرياض: مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٩ - الضبي، المفضل (١٩٩٨). **المفضليات**، تحقيق: عمر الطباع، بيروت: دار الأرقم.

٣٠ - الطبري، محمد بن جرير (١٩٩٩) **جامع البيان في تفسير القرآن**، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣١ - الطياوي، سعود (٢٠٠٤). نقاش عن ضرورة حجب المواقع الجنسية: http://www.daralhayat.net/actions/print.php

٣٢ - العدوني، هدى (٢٠٠٢). التنشئة الاجتماعية والجنسية للطفل المغربي، مجلة الطفولة العربية، ٤ (١٦)، ٦٩-٩٩.

٣٣ - عرفة، محمد، ورضوى حسن (٢٠٠٠). العنوسة: http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/alhadath2000-oct-10/alhadath19.asp

٣٤ - عقل، محمود عطا (٢٠٠١). **القيم السلوكية**، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٣٥ - عكاشة، أحمد (٢٠٠٣). الطب النفسي المعاصر، القاهرة: مكتبة الأنجلو.

٣٦ - علي، كمال (٢٠٠٥). **الجنس والنفس في الحياة الإنسانية**: http://www.arabpsynet.com/Archives/OP/OP.KamelSexPsy.htm

٣٧ - الغزالي، أبو حامد (٢٠٠١). **إحياء علوم الدين**، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٨ - فرج، محمود إبراهيم (١٩٩٨). **أثر الإرشاد النفسي الديني في خفض بعض الاضطرابات السلوكية لدى المراهقين**، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة: جامعة عين شمس.

٣٩ – الفقيه، عبدالله (١٤٢٤هـ). فتاوى الشبكة الإسلامية: حكم الزواج العرفي: http://www.islamweb.net/ver2/fatwa/ShowFatwa.php?lang=A&Option=FatwaId&Id=5962

٤٠ – القرطبي، محمد بن أحمد (١٩٩٦). **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، القاهرة: دار الحديث.

٤١ – قطب، سيد (١٩٩٦). **في ظلال القرآن**، ط٢٥، القاهرة: دار الشروق.

٤٢ – قطب، محمد (١٩٨٢).**منهج التربية الإسلامية**، ط٦، بيروت: دار الشروق.

٤٣ – المجلس القومي للسكان وجامعة القاهرة والجامعة الأمريكية: http://www.khwanonline.com/Article.asp?ID=3701&SectionID=476

٤٤ – مسلم بن الحجاج (١٩٩٨). **صحيح مسلم**، الرياض: بيت الأفكار الدولية.

٤٥ – المفدى، عمر بن عبدالرحمن (١٤٢١هـ). **علم نفس المراحل العمرية**، الرياض: دار الزهراء.

٤٦ – المهنا، إبراهيم عبدالكريم (٢٠٠١). **عوامل التسرب الدراسي لدى المنحرفين**، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية.

٤٧ – نجاتي، محمد عثمان (١٩٩٧). **القرآن وعلم النفس**، ط٦، بيروت: دار الشروق.

٤٨ – النغيمشي، عبدالعزيز (١٤١٥هـ). **المراهقون**، ط٣، الرياض: دار المسلم.

٤٩ – ويليس، جيمس، وجون ماركس (١٤٢٠هـ) **الطب النفسي المبسط**، ترجمة طارق الحبيب، الرياض: جامعة الملك سعود.

50. Abbeg, A. & McAuslan(2004). A Longitudinal Examination of Male College Students' Perpetration of Sexual Assault. J. of Consulting and Clinical Psychology, 72 (5), 747-756.

51. Berk, Lura(2001). Development Through The Lifespan, 2nd Ed. Boston: Allyn & Bacon.

52. Dombrowski, S.; LeMancy, J.; Ahia, C.; & Dickson, A.(2004). Protecting Children From Online Sexual Predators, Professional Psychology,35(1),65-73.

53. Kershaw,T.; Ethier, K.; Niccolai, L.; Lewis, J. & Ickovics, J.(2003). Misperceived Risk Among Female Adolescents: Social and Psychological Factors Associated with Sexual Risk Accuracy, Health Psychology, 22 (5), 523-532.

54. McDonald, J. & Wilson Bradford.(2000). The Treatment of Sexual Deviation Using a Pharmacological Approach, Journal of Sex Research, http:www.findarticles.com/p/articles/mi_2372/is_3_37/ai_68273923/pg_1.

55. Schenker & Nyirenda.(2002). Preventing HIV/AIDS in Schools, Geneva: IBE, Publications Unit.

56. SEHA (2005). http://www.sehha.com/sexualhealth/masturbation.htm.

57. UNAIDS(2004).http://www.unaids.org/bangkok2004/GAR2004_html.

58. Wills, T; Gibbons, F.; Gerrard, M.; Murry, V. & Brody, G.(2003). Family Communication and Religiosity Related to Substance Use and Sexual Behavior in Early Adolescence, Psychology of Addictive Behaviors, 17(4), 312-323.